Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧ – الانتقال بالخطابة من النطاق المحلى المحدود إلى النطاق العام الشامل ، واتساع الدائرة التى تجول فيها اتساعا أمميا لاقبليا ، والخروج بها إلى مجال التعبير عن الأغراض السامية والفكر الراقى ، فى الكون وقيامه ، والوجود ونظامه ، والمجتمع وعوامل بقائه وارتقائه ، وما ينبغى أن يقوم عليه من أسباب ، ويسوده من آداب ، والبعد بها عن الإسفاف بالانحصار فى مطالب العيش الرخيصة ، فكان انقلابا كبيرا أن ترتفع الخطابة لتعبر عن الحياة الانسانية فى صراعها الأدبى والعقلى والعاطفى ، المحتدم حول المبادىء والمعتقدات والآراء ، ولاتسف لتصور الحياة الحيوانية ، فى صراع الدموى حول لقمة العيش وتنازع البقاء ، وأن تسعى سعيها ليقوم الحق والخير والبر والفضيلة مقام الباطل والشر والإثم والرذيلة .

٨ – اتساع المعانى الخطابية التى احتلتها هذه الموضوعات باتساع ميدان الحياة الجديدة ، وكثرة المشاهدات والمعقولات وتنوعها ، متأثرة بتلك الحضارة التى أخذت طريقها من البلاد الراقية التى امتزجت بالعرب ، فاتسعت آفاقهم ، وعرفوا أحوال النفوس ، وتنوعت فنون القول عندهم ، مع قوة تأثيرها ، وامتلاكها المشاعر والوجدان ، لوقوعها منها موقع العذب الزلال من ذى الغلة الصادى .

وقد قوى هذا الفن وارتقى واتسع نطاقه بكثرة الحوار والجدل ، ومحاولة الإقناع فى الدين والسياسة والخصومات المختلفة والشئون العامة ، فى ظل الحرية الشاملة ، والنظر الصحيح .

ومن أجل ذلك كله لايجد المرء مبرراً لمواقفه بعض الباحثين فيما ذهب إليه ، من القول بأنه : « كان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم أكثر من اعتنائهم بها فى إسلامهم »[1]. بل إن ما قدمناه يؤيد غير ذلك ، ويؤكد علوَّ شأنها بالإسلام ، واتساع نطاقها وامتداد سلطانها فى هذا العصر ، ويدل على اهتمام المسلمين فى هذا الصدر بالخطابة ، فعليها كان اعتمادهم فى كل مهم جليل ، وإليها كان مفزعهم عند كل أمر خطير بين قلوبهم .

(١) بلوغ الأرب ١٥٢/٣